

واغفر لأبي عبدالله بن عبدالرحمن بن ناصر اليميني



الموت مصابته عظيم، ومشهده مهيب، تنخلع منه القلوب، وتقسع له الأبدان، فهو فاجعة سماها الله مصيبةً، وأي ألم أشدُّ على النفس من فقد الأحبة الغالين، وأيُّ كرب في الدنيا أعظم من فراقه أغلى المحبوبين، وأيُّ يدين تطوعانك على تغييب والدك في صدع من الأرض، وأيُّ قلب يطاوعك على تركه متوسداً التراب؟! بيد أنه لا تسخط على أحكام الله تعالى في عباده.

تختصر لك الحياة الدنيا، وتتضح لك حقيقتها حينما تُمضي ساعات في مغسلة الموتى تنتظر اللحظات الأخيرة التي بقيت لميتك فوق الأرض، وتنظر إلى الغادين والرائحين، فتشعر بأن الدنيا لهو ولعب، وحينما تنزل في القبر باختيارك، وتخرج منه باختيارك تشعر بفسحة الدنيا والأمل، وتستشعر روعة القبر وهوله، فتستذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَحُ مِنْهُ) أخرجته أحمد والترمذي.

في يوم الأحد 3 / 8 / 1446هـ الذي هو اليوم الأخير من حياة الوالد عبدالرحمن بن ناصر اليميني - رحمه الله - وبعد زوال الشمس وتوسطها في كبد السماء طلب إحضار أحد الطهورين، فأحضر له فتوضأ، فصلّى الظهر، وبعد انتهائه من فرض الله عليه فاضت روحه إلى بارئها، ولا عجب، فمن عاش على شيء مات عليه، وكانت وفاته طبيعية بعد تسع سنوات من المرض الذي لا يتحمله إلا من أنزل الله عليه الطمأنينة، والاحتساب، وطلب الأجر من الله تعالى، فقد ابتلاه الله بعدة أمراض خطيرة لا يتحملها إلا ذو صبر ورضى وإيمان بأقدار الله تعالى.

تعلم الوالد - رحمه الله - في بداية طلبه على الشيخ محمد بن أحمد الفهيني، وقرأ عليه جزء (عم) ثم انتقل إلى الشيخ أحمد بن عتيق، ثم بعد ذلك التحق بمدرسة ابن عباس الابتدائية، ودرس فيها لمدة ثلاث سنوات، وفيها تلقى مبادئ القراءة، والكتابة، والحساب.

وكان قد نشأ في (العوامر) في كنف والده ناصر بن راشد اليميني - رحمه الله - وأمضى صباه ومستهل شبابه بها، حيث تزوج في سن الخامسة والعشرين من الوالدة العالمة: نورة بنت راشد بن سعيد اليميني - رحمها الله تعالى - وكانت نغم الصاحبة له عشرة، ورعاية، وحرصاً، وتحملًا للمسؤولية، وأدى فريضة الحج وعمره ستة وعشرون عامًا، ثم اشتغل بالبيع والشراء، فكان سمحًا إذا باع، وسمحًا إذا اشتري، وعرف بحسن التعامل مع الناس، والسماحة في البيع، وكرم النفس، ولبين الجانب، لا يفرق في ذلك بين صغير وكبير، أو عزيز أو وضيع، وكل من خالطه أحبه، وكان واسع العلاقات مع الناس، تندهش بصلاته مع أناس يكبرهم بأكثر من خمسين عامًا، لكنه يحبهم ويحبونه، ويأنسون به، وبينهم مواقف رائعة يذكرونها لجمالها وروعها.

وكان له - رحمه الله - روح جذابة، فإذا دخل المنزل تهافت عليه الصغار يمينة ويسرة، وإذا أنهى صلاته في مسجده في أي وقت التفت يمينة ويسرة باحثًا عن ضيف يكرمه، وله أنثى بمن يجالسه. ومرة دخل مستشفى العيون لإجراء عملية في عينه، فتحولت غرفته إلى مجلس ضيافة وإكرام للمرضى.

وله - رحمه الله - في ردهات المجالس ذكرى، وفي كواكب المعزين مواقف تحكى، وهب الله له صفات عظيمة اجتمعت فيه وتفرقت في غيره.

رحل الوالد إلى دار البرزخ وقد ترك وراءه إرثًا كبيرًا قوامه محبة الناس التي كسبها من خلال تعامله الحسن، وبشاشته، ولطفه، ونبل أخلاقه مع الصغير والكبير، وهذه هبة ونعمة من الله تعالى، فقد كانت القلوب له مدينة بالحب فبكته القلوب، وذرفت على فقده العيون.

تحلى الوالد - رحمه الله - بصفات ردها المعزّون صغارًا وكبارًا على اختلاف أعمارهم، بين ثناء يذكر، ومدح يُشاد، وموقف نبيل، وتواضع متوازن، وكرم أصيل، فحينما يثني القريب والمخالط فهذا ليس بمستغرب، لكن ثناء الأبعد غير المخالط يدل على الصيت الحسن، والسمعة الطيبة، وعلى لسان صدق في الآخرين، وقد قال لي أحد طلاب العلم العباد في المسجد النبوي في المدينة: إني أدعو لوالدك في صلوات الجنازة منذ علمت بوفاته وهو لم يره.

والكلام عن الحبيب الغالي تعجز الجمل أن تسعفك برص عباراته المناسبة وتنميق القول الأخاذ، ولكن هذه مقتطفات سريعة قيلت في سياق العزاء، فهذا أحد المحبين للوالد - رحمه الله - لما قال الإمام للصلاة عليه: (الصلاة على رجل) قال المحب وهو في الصفوف الأخيرة بصوت واضح: (نعم الرجل، نعم الرجل) ومن المقتطفات التي تردت على لسان المعزين صغارًا وكبارًا: (هذا والدنا، هذا أبونا، نحن نعزي فيه) فهذا الإرث التاريخي، وعمق العلاقة، وصدق المحبة من الناس لم يأت من فراغ، بل من صفات عملية تحلى بها ورأها الناس مثالاً يُحتذى، يجمعها حسن الخلق الدائم، وجمال التعامل، والسماحة والمسامحة، ولبين المعشر، والكرم الحاتمي، والتواضع المتزن، وصغر النفس، والحلم الراسخ الذي لا يزعجه شيء، فقد كان نادر الغضب، فمع امتداد أيامه كانت غضباته تعد على الأصابع، فقد عاش صديقًا وفيا، وأبًا للصغير، وأخًا للكبير، وسندًا للبايس والمحتاج، ذا رأي رشيد في المدلهمات، وحزم قوي في الخطوب، قال مرة: من أراد الصلح فلا يجرب الكلام الماضي.

رفع الله شأنه بجنازة مشهودة، والناس شهود الله في أرضه، عليه من ربه رحمت زاهرة، وأنزل الله على قبره شأيب الرحمات، وأسكنه الله بحبوحة جنانه.

عبدالله بن عبدالرحمن بن ناصر اليميني